ترجمات | قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية | 06 مارس 2019

ما هي الصداقة؟

جاك دريدا

ترجمة: فتحي المسكيني

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2019

All rights reserved © 2019

ما هي الصداقة؟[1]

جاك دريدا

ترجمة :**فتحي المسكيني**

1- Jacques Derrida, *Politiques de l'amitié* (Paris: Editions Galilée, 1994), pp. 24-31

قال أرسطو ذات مرة: إنّه من الأنسب للصداقة أن يحبّ المرء بدلا من أن يكون محبوبا. ولا ننس الأفق العام لهذا الإثبات. إنّه يتعلّق بالعدل وبالسياسة. وهذا الموضع من كتاب **أخلاق أوديموس**[1] ينفتح على مسألة العادل، **العادل** (*to dikaíon*) في الصداقة.[2] وما ينبثق في المقام الأوّل، إنّما هي مسألة العادل أو العدل، *dikaiosúnē*. وهذه تصف سلوكاً، وهي تتمثّل في أن نسلك بطريقة معيّنة: في وفاق مع العادل، وفي تناغم مع مبدأ العادل. وهذه المسألة هي في أصالتها كما في ضرورتها مساوية رأساً لمسألة الجميل والمرغوب في الصداقة؛ فهي تأتي أيضا في المقام الأوّل، للتوّ بعد الافتتاح العام لموضوع الصداقة (*peri philías*): ما هي الصداقة؟ كيف هي أو أيّ شيء هي؟ من هو الصديق؟ هل تُقال الصداقة بمعنى واحد أو على أكثر من معنى؟[3]

لا بدّ أنّ كلّ المهمّة سوف تتمثّل بلا ريب في تعيين هذا العدل. لكنّ ذلك لا يبدو ممكنا إلاّ بعد التغلّب على **معضلات**[4] عدّة. وسوف نبدأ، وكما هو الأمر دائما في ظلّ الإحالة الضمنيّة على محاورة **ليزيس**[5] (214-216)، بمعضلة صداقة تظهر أيضا موقوفة على المتشابه وغير المتشابه[6]. ولكن حتى قبل هذه المعضلة الأولى، لن يتمّ القول [25] في العادل، ولن يتمّ الدخول عنوة إلاّ بالاستناد إلى رأي مقبول عموما. وهذا الرأي يهمّ **العمل نفسه الخاص بالسياسي**: إنّ الممارسة أو العمليّة السياسيّة **على التخصيص**، إنّما مرجعها هو خلق (وإنتاج وصنع، إلخ.) أكثر ما يمكن من الصداقة (*tês te gar politikês érgon einai dokei málista poiêsai philían*[7]).

كيف نفهم عبارة **أكثر ما يمكن؟** كم؟ هل هذا الأمر يمكن حسابه؟ كيف نؤوّل إمكان هذا الحدّ الأكبر أو هذا الحدّ الأفضل في الصداقة؟ كيف نفهم ذلك سياسيّاً؟ **أكثر ما يمكن من الصداقة**، هل هذا أمر لا يزال يجب أن ينتمي إلى السياسة؟

أن **نحبّ [الصديق]**[8]، هذا هو ما نفهمه قبل كلّ شيء، بالحسّ السليم، هذا ما ينبغي أن نفهمه، ما لا نستطيع ألاّ نفهمه، بكلّ ثقة، عندما يرنّ لفظ **الصداقة**: الصداقة تتمثّل في أن نحبّ [الصديق]، أليس كذلك. إنّها

1- *Ethique à Eudème*

(2)*- 1234b 21

(3)*- 1234 b 18-20

4- *apories*

5- *Lysis*

(6)*- 1235a 5

(7)*- 1234b 22-23

8- *aimer*

طريقة في الحبّ، بكلّ تأكيد. والنتيجة، والاستتباع: إنّها إذن فعلٌ قبل أن تكون موقفا، **فعل** المحبّة بالأحرى، قبل أن تكون **حالة** الكائن المحبوب. الفعل قبل الانفعال. وفعل هذه الفعالية، وقصد المحبّة هذا، الـــ *phileîn*، إنّما هو أكثر خصوصيّة للصداقة نفسها (*kata ten philían*) من الموقف الذي يتمثّل في أن يقبل المرء بالمحبّة أو أن يجعل الغير يحبّه، وفي كلّ الأحوال أن يكون محبوبا (*phileisthai*). إنّ الكائن المحبوب هو بلا ريب، يقول شيئا ما عن الصداقة، عن الـــ*philía* ولكن فقط من جهة المحبوب (*philéton*). هو لا يقول شيئا عن الصداقة **نفسها** التي تقتضي **في ذات نفسها**، **بشكل خاص**، وبشكل جوهري، الفعل والفعالية: ينبغي أن يوجد أحد يحبّ حتى نعرف ماذا يعني أحبّ، ثمّ، وعندئذ فقط، معنى أن يكون المرء محبوبا.

الصداقة، أن يكون المرء صديقا، ماذا يعني هذا إذن؟ حسناً، هو أن يحبّ المرء **قبل** أن يكون محبوبا. وحتى قبل التفكير في ماذا يعني **أحبّ**، و**الحبّ**، و**حبّ الصديق**[9]، فإنّه ينبغي على المرء أن يعرف أنّه لن يعرف ذلك إلاّ بأن يسائل بادئ الأمر فعل الحبّ وتجربة الحبّ، بدلا من مساءلة حالة الكائن المحبوب أو موقفه. ولماذا هذا؟ ما السبب في ذلك؟ هل يمكن للمرء أن يعرفه؟ حسناً، بسبب **المعرفة**، تحديدا- التي تتوافق أو تتحالف هنا مع الفعل. وها هي القوّة المبهمة، ولكن الجبّارة لتحصيل حاصل. لكنّ الحجّة تبدو بسيطة في واقع الأمر: إنّه من الممكن أن يكون المرء محبوبا (صيغة المفعول به) **دون أن يعرف ذلك**، ولكن من المستحيل أن يحبّ (صيغة الفاعل) **دون أن يعرف ذلك**. إنّ العلم أو الوعي بالذات يعرف بشكل قبلي أنّه متضمَّن و**منخرط** في صداقة **من يحبّ**، نعني في الصديق، لكنّه لم يعد كذلك أو ليس بعد كذلك من جهة **ما هو محبوب**. فالصديق، هو من يحبّ قبل أن يكون الذي نحبّه: من يحبّ قبل أن يكون الكائن المحبوب، وربما (إلاّ أنّ هذا شيء آخر، حتى وإن كانت النتيجة سليمة) هو من يحبّ قبل أن يكون محبوبا. [26] علم أو وعي **المنخرط**[10] يعني هنا مرّتين أنّه مطلوب: سلفاً هو متورّط بوصفه شرط إمكان (سلسلة نظرية) وملزم بتعهّد، أو وعد، أو حلف (سلسلة إنجازية). وهذا الأمر يمكن دوما أن يعود إلى بداهة تحليلية: ينبغي الانطلاق من الصديق-المحبّ[11] وليس من الصديق-المحبوب[12] حتى نفكّر في الصداقة. هذا الترتيب لا يقبل الارتداد. يمكن أن يكون المرء محبوبا، وأن يبقى على جهله بهذا الأمر نفسه، بأنّه محبوب، وأن يبقى تجاه هذا الأمر كما في السرّ. قد يمكننا أن نقول إنّ هذا السرّ لن يُكْشَف أبدا. لكنّنا لا نستطيع أن نحبّ، وخاصة يجب ألاّ نفعل ذلك، إذا ما بقينا في هكذا جهل بالصداقة نفسها (*ésti gar lanthánein philoúmenon, philoûta*

9- *aimer, l'amour, l'aimance*

10- *engagé*

11- l'ami-aimant

12- l'ami-aimé

d'oú).[13] وهذه مسلّمة: إنّ الصداقة التي أكنّها لأحد من الناس، ومن دون شكّ المحبّة أيضا، لا يمكن أن تبقى سرّا بالنسبة إلي. حتى قبل التصريح به (للغير، وبصوت عالٍ)، فإنّ فعل المحبّة هو سوف يكون هكذا، منذ ولادته نفسها، أمرا **مصرَّحا** به. هو سوف يكون في ذاته مصرَّحا به، متاحا للمعرفة أو للوعي. سيكون التصريح به في حقيقة الأمر مسجَّلا في صلب فعل الولادة الذي يخصّه. لا يحبّ المرء إلاّ من أجل أن يصرّح بأنّه يحبّ. ولا يمكنه أن يحبّ دون أن يعلم أنّه يحبّ. لنسمّ ذلك، تيسيرا للأمر، مسلّمة: إنّ مقدّمة كلّ هذا الاستدلال يبدو وأنّها تدعونا إلى الأخذ بالحسّ السليم، هي تطرح نفسها باعتبارها شيئا لا يقبل النقاش. وما **لا يقبل الجدال** في الحقيقة هو: أنّ المرء لا يمكنه أن يشهد ضدّها دون أن ينحاز إلى صفّها.

أمّا في الظلّ، فإنّ الاعتراضات سرعان ما تتزاحم علينا. إلاّ أنّنا في هذه اللحظة سوف نتركها في كمونها. ما معنى أن يكون المرء محبوبا؟ أن يكون المرء محبوبا، ما معنى ذلك؟ لا شيء، ربما، لا شيء على كل حال من الصداقة نفسها التي المحبُّ، بما هو كذلك، لا يعرف منها شيئا، وفي بعض المرّات لا شأن له بها. أن يكون محبوبا، ذلك سوف يبقى إذن، بالنظر إلى الصداقة نفسها، وبالتالي بالنظر إلى الصديق، بمثابة عرض[14] (to men gar phileisthai sumbebekós) [نفسه]. يمكن للمرء أن **يفكّر** في الصداقة، وأن **يعيشها**، ما هو خاص أو ما هو جوهري في الصداقة، دون أدنى إحالة إلى الكينونة-**المحبوبة**، وعلى نحو أعمّ إلى **القابل للمحبّة**[15]. على كلّ حال، ليس عليه أن ينطلق منه، كما من مبدأ بعامة. ولو وثقنا هنا بمقولات الذات والموضوع، لكنّا نقول في هذا المنطق إنّ الصداقة (philía) هي بديّاً في المتناول من جانب الذات، التي تفكّر فيها وتعيشها، وليس من جانب الموضوع، الذي يمكن أن يكون محبوبا أو قابلا لأنْ يُحَبّ دون أن يتعلّق أبدا بالشعور الذي يظلّ على وجه التحديد موضوعاً له. وإذا ما قلنا فعلاً „أن نفكّر وأن نعيش"، فإنّ هذا، وسنرى ذلك لاحقا، لأنّ الحياة والنَّفَس[16] والنّفْس[17] هي توجد دوما وضرورةً من جانب المحبّ أو من جانب الحبّ، في حين أنّ الكينونة-المحبوبة للذي هو قابل لأنْ يُحَبّ يمكن أن تكون بلا حياة، يمكن أن تنتمي إلى مملكة غير الحيّ، غير الفيزيائي أو الذي „لا نفس له" [27]. (en apsúkkó)[18] لا يمكن أن يحبّ المرء دون أن يكون حيّا ودون أن يعرف أنّه يحبّ، ولكن يمكنه أيضا أن يحبّ الميت أو ما لا

---

(13)*- 1239a 33-34

14- un accident

15- *l'aimable*

16- le souffle

17- l'âme

(18)*- 1237a 35-40

حياة له، اللذيْن لا يعرفان بذلك شيئا، بل إنّ نوعا معيّنا من محبّة الصديق[19] هي التي تأتي كي تحسم إمكانية أن نحبّ الميّت.

هذا النوع من عدم التقايس بين المحبّ والمحبوب لن يكفّ أبدا عن تخطّي كلّ مقياس وكل اعتدال، نعني مبدأ الحساب نفسه. هو سوف يُدخل **ربّما** خللا كامنا في تنظيم الخطاب الأرسطي. (هذا الحرف „ربما" هو يسِم بعدُ الخطوة المتردّدة في قراءتنا). شيء ما يرتعد مثلاً في التراتب الذي سمّاه أرسطو طبيعيّا (phúsei)، نعني مسجّلا منذ الولادة، بين الذين بهم ميلٌ لأن يحبّوا (أن يقبّلوا، أن يداعبوا)، ويسمّيهم الـــ philetikoi، وبين الذين تحتهم، في آخر الترتيب، الـــ philótimoi. وهؤلاء يفضّلون أن يكونوا محبوبين، هم يبحثون إذن عن التشريفات والتميّز وأمارات الاعتراف.[20] وفضلا عن ذلك، حتى ولو لم يكن هناك أيّ بُعد شبقيّ بشكل جوهري، وأيّة رغبة تحرّك هذا التراتب المخلّ بتناظر الـــ philía، فكيف يمكن أن نحترم البنية الصورية في العلاقة بين عالم ما تحت فلك القمر وبين المحرّك الأوّل؟

إذا ما كان إروس وفيليا[21] بمثابة حركتيْن، ألا يكون لدينا هنا تراتبٌ وعدم تناظر معكوسان؟ سواء أكان محرّكا أوّل أو فعلا محضا، فإنّ الله هو يحرّك دون أن يتحرّك ودون أن يكون محرَّكاً، فهو ما يمكن أن نرغب فيه أو المرغوب بإطلاق، بشكل تناسبي وصوري، في مكان المحبوب، وبالتالي من جانب الميّت، من جانب ما يمكن أن يكون بلا حياة دون أن يكفّ عن أن يكون محبوبا أو مرغوباً (apsúkhon). والحال أنّه على خلاف ما يحدث في الصداقة، لا أحد سوف يجادل في أنّ هذا الموضوع المطلق للرغبة هو يوجد أيضا في مبدأ التراتب الطبيعي وفي قمّته، في حين أنّه لا يقبل من أيّة جاذبيّة أن تحرّكه أو تحرّك مشاعره.[22]

لننزل من جديد إلى عالم ما تحت فلك القمر. إنّ عدم التناظر يوشك، في الظاهر ولأوّل وهلة، أن يعقّد الرسم المساواتي للـــ isótēs أو الرسم التبادلي[23]، إن صحّ التعبير، أو **التعاضدي**[24] للصداقة بالمثل (antiphileîn)، كما يبدو أنّ أرسطو يفضّلهما في موضع آخر بحرص واضح.[25] إنّ phileîn من شأنه أن يكون مناسبا أكثر لماهية الصداقة (kata ten philían)؛ إنّ فعل الحبّ من شأنه أن يكون أكثر ملاءمة

19- aimance

(20)*- 1239a 27-30

21- Eros et Philia

22- mouvoir ou émouvoir

23- réciprocaliste

24- *mutualiste*

(25) *- قارن على سبيل المثال: **أخلاق أوديموس** 1239أ 4؛ و**أخلاق نيقوماخوس** 1159ب.

للصداقة، وإلاّ للمحبوب (philéton). وعندئذ يقترح أرسطو أن يقدّم دليلا أو علامة (semeion) على ذلك. لو كان لصديق أن يختار بين أن يعرف وأن يكون معروفا، فإنّه سوف يختار المعرفة على الكينونة- المعروفة. وفي كل مرة يذكر هذا البديل ويعيّن الاختيار، فإنّ أرسطو يضع نفسه في فرضيّة، حيث تكون التجربتان (أن يعرف وأن يكون [28] معروفا، أن يحبّ وأن يكون محبوبا، المحبّ والذي يمكن أن يُحَبّ) غير متطابقتين، في اللحظة التي لا تظهران فيها ممكنتين **في كرّة واحدة**.[26] ولكن ليس ذلك بمهمّ في حقيقة الأمر. حتى لو كانت حركة الفعل وانفعاليّة[27] الحالة ممكنتين في وقت واحد، إذا ما كان يمكن أن يحدث ذلك على أرض الواقع، فإنّ البنية الجوهرية للتجربتين وللعلاقتين سوف تظلّ دوما مختلفة. وهذا الاختلاف الذي لا يمكن محوه هو الذي ينبغي أن يؤخذ في الحسبان، والذي يسمح لنا بأن نحتسب. فهو الذي يبرّر التراتب الباطني: أن يعرف لن يعني أبدا بالنسبة إلى كائن متناه، أن يكون معروفا؛ ولا أن يحبّ، أن يكون محبوبا. يمكن للمرء أن يحبّ أن يكون محبوبا[28]، لكنّ الحبّ سوف يكون دوما أكثر، أفضل، وشيئا آخر غير أن يكون محبوبا. يمكن له أن يحبّ أن يكون محبوبا- أو قابلا لأنْ يُحَبّ، ولكن ينبغي أوّلا أن يعرف كيف يحبّ، وأن يعرف ماذا يعني أن يحبّ بالحبّ.[29] إنّ بنية أحدهما ينبغي أن تبقى كما هي، مغايرة لبنية الآخر، وهذه الأخيرة، بنية الحبّ بالنسبة إلى المحبّ، كما يقول لنا أرسطو بعامة، سوف تكون دوما مفضَّلة عن تلك، عن بنية الكائن المحبوب بما هو قابل للحب. أن يحبّ المرء سوف يكون دوما أفضل من أن يكون محبوبا، كما أنّ الفعل أفضل من الانفعال، وما هو بالفعل أفضل ممّا هو بالقوة، والجوهر أفضل من العرض، والمعرفة أفضل من عدم المعرفة. إنّ ذلك هو المرجع والأفضليّة ذاتها.

من أجل المساعدة على فهم هذا الامر، ضرب كتاب **أخلاق إلى أوديموس** مثلا ما تفعله النساء في كتاب **أندروماخيا** أنطيفون[30]. يتعلق الأمر بمثال التبنّي أو الحضانة أو الأمومة الصناعية[31] أو الاستبدال أو تبديل الأطفال، *en tais upobolais*، وها نحن بعدُ في هذا النحو من **ألفة الاصطفاء** التي ستبقى غرضنا في كل مكان. هؤلاء الأمّهات تضعن أطفالهنّ في الحضانة ويَحْبِبْنَهم دون السعي لأنْ تكنّ محبوبات في المقابل. هنّ يعرفن أنّهنّ محبّات، هنّ يعرفن أنّهن يحببن ومن يحببن، لكنّهنّ يقبلن بأن لا يكنّ معروفات ولا محبوبات في المقابل. فأن يريد المرء أن يكون محبوبا هو على كل حال شعور موجّه نحو نفسه، في مصلحة

(26)*- *À Eudème* 1239a; *À Nicomaque* 1159a 30

27- passivité

28- aimer être aimé

29- aimer en aimant

30- l'*Andromaque* d'Antiphon

31- prothétique

نفسه، من أجل حبّ نفسه (*auto éneka*). فهو منفعل، أكثر حرصا على أن يأخذ أو أن يتمتّع بالخير من أن يفعله، كما يقول أرسطو حرفيّا (tou páskhein ti agathon alla mē poiein)؛ إلاّ أنّه يمكننا أيضا أن نقول: إنّه يسارع إلى أخذ الخير الذي لا نملكه بدلا من أن يعطي الذي يملكه (بل، كما سيقول ذلك أفلوطين يوما ما، وهو شيء آخر، أن يعطي ذاك الخير نفسه الذي لا يملكه). وإنّ كتاب **أخلاق إلى أوديموس** قد ذكّر بهذا المثال، من أجل نفس البرهان. لكنّ أرسطو يؤكّد عندئذ على **بهجة** أو **متعة** الأمومة، ومن أجل أن يرى فيها علامة أو دليلا (*semeion d'ai mētéres tô phileîn khaírousai*).

كيف المرور من متعة الأمومة إلى الموت؟ هذا المرور [29] ليس مرئيّا في النصّ مباشرة. بلا ريب، عندما سمّى كتاب **أخلاق إلى نيقوماخوس** متعة حبّ الأمّ من جهة كونه يتخلّى عن المعاملة بالمثل، هو مع ذلك لم يقرنه لا بالبقاء على قيد الحياة ولا بالموت. أمّا كتاب **أخلاق إلى أوديموس**، فهو يفصح عن تخلّي الأمّ، في صلب حبّها نفسه، لكنّه لا يذكر المتعة ومن أجل أن يواصل ذلك فوراً بالحديث عن الموت. نحن قد ذكّرنا منذ قليل بهذه السلسلة المنطقية. أن يريد المرء أن يكون معروفا، أن يتعلق بذاته في سبيل ذاته، أن يتلقى الخير بدلا من أن يصنعه أو أن يمنحه، إنّما هو أمر مختلف تماما عن المعرفة. المعرفة تعرف من أجل أن تصنع شيئا وأن تحبّ، من أجل الحبّ وبهدف أن تصنع شيئا وأن تحبّ (*to de ginôskein tou poiein ka itou phileîn éneka*)، ويقول أرسطو عندئذ، في خاتمة ذلك ,,إنّما لهذا السبب نحن نمدح أولئك الذين يواصلون حبّ موتاهم ذلك أنّهم يعرفون لكنّهم ليسوا بمعروفين" (dio kai tous emménontas tô phileîn pros tous tethneôtas epainoumen. ginőskousi gár, all' ou ginőskontai). إنّ صداقة الميّت هي إذن تحمل هذه الـ philía إلى حدود إمكانها. ولكن في نفس الكرّة، هي ترفع الغطاء عن القوّة الأخيرة لهذا الإمكان: لن أستطيع أن أحبّ حبّ الصداقة[32] دون أن ألقي باندفاعي نحو أفق هذا الموت. **الأفق**، هو الحدّ[33] وغياب الحدّ، ضياع الأفق في الأفق، لا-أفقيّة الأفق، الحدّ بوصفه غياب الحدّ. لن أستطيع أن أحبّ حبّ الصداقة دون أن ألتزم، **دون أن أشعر سلفا** بأنّني ملتزم بأن أحبّ الآخر فيما أبعد من الموت. وبالتالي فيما أبعد من الحياة. أنا أشعر، وبشكل مسبق، قبل كلّ عقد، أنّني مدفوع لأنْ أحبّ الميّت الآخر. أنا أحسّ نفسي هكذا أنّني (مدفوع لأنْ) أحبّ، وإنّما هكذا أنا **أحسّ نفسي** (أحبّ).

إنّ الهوهوية[34] تدعو إلى التفكير، كما هو الحال دائما: أنا أحسّ أنّني أحبّ، مدفوع لأنْ أحبّ، وهذا الكائن المحبوب أو الكائن القابل للحبّ الذي قلنا بعدُ إنّه ليس بالضرورة حيّاً، وبالتالي أنّه يحمل الموت في

32- aimer d'amitié

33- la limite

34- l'autologie. مصطلح لساني-منطقي يفيد بأنّ بعض الألفاظ تمتاز بخاصيّة أن تصف نفسها، أن تمتلك خاصيّة أن تعبّر عن نفسها. وهو يقابل المصطلح المضاد: hétérologie. مثلا: لفظ هو لفظ؛ مفرد هو نفسه في المفرد؛ مذكر هو مذكر؛ مصرَّف هو مصرَّف، إلخ...

كونه-محبوبا، على التّماس من كينونته القابلة لأن تُحَب، في مدى الإحالة على كينونته المحبوبة ذاتها. لنذكّر بذلك، ولنقم بذلك في كلمات أرسطو. فهذا الأخير، يفسّر لنا لِمَ يمكن أن نكون مسرورين، وأنّ ثمّة سببا لأن نكون مسرورين بأنْ نحبّ (*dio to phileîn khaírein*)، ولكن لا يجدر بنا أن نُسرّ، أو على الأقلّ، لنقل، ليس جوهريّاً، ليس باطنيّاً، بأن نكون محبوبين (*all' ou to phileisthai estín*). المتعة، وسرور النفس، ليس بأمر محايث في المحبوب، بل في الحبّ، في وجوده بالفعل، في الـ *enérgeia* التي تخصّه. أمّا مقياس هذا التمييز، فهو يتّبع على ما يبدو خطّاً غير مرئيّ. هو يمرّ بين الحيّ[35] والميّت، المتنفّس وغير المتنفّس[36]، النفسي وغير النفسي. هي مسألة شهيق أو زفير: أن نحبّ هو أمر ينتمي إلى الكائن الذي وُهب الحياة أو النَّفَس (en empsúkô). أمّا الكائن المتنفّس، فهو يظلّ ممكنا دوماً [30] في جانب غير المتنفّس (en apsúkhô)، ههنا حيث يمكن أن يكون نفَسٌ ما قد زفر[37] وانتهى. „نحن نحبّ أيضا الكائنات غير المتنفّسة" (phileitai gar kai ta ápsukha) (نفسه).

نحن نجهد أنفسنا أن نتكلّم هنا في منطق كتابيْ **الأخلاق** الأرسطيين، باذلين كلّ ما هو في وسعنا كي نحترم الأضلاع المفهوميّة لحجاجه. وإذا ما وجد القارئ الذي له ألفة مع أرسطو أنّ النبرة قد تغيّرت رغم ذلك، والانفعال[38] والإيحاءات، وإذا ما ارتاب من بعض الانحراف البطيء، المتكتّم أو السرّي، فلنطلب منه ولنطلب من أنفسنا، ما هو القانون الذي فرض ذلك، وعلى نحو أدقّ، هل هو قانون ويكون محضاً، قانون من نوع مفهومي محض، أو منطقي، أو فلسفيّ حقّا. قانون لا يكون فقط من نوع نفساني أو خِطابي أو شعري. ماذا يحدث هنا؟ وإذا كان ما يحدث هو قد حدث تحديدا بين النوعين الذين ميّزنا بينهما للتوّ، بل عند التماس بينهما؟ لا ننس، متى تعلّق الأمر بعلم النفس، أنّ مسألة الـ *psukhḗ*، أو الحياة المتنفّسة، هي في القلب من كلّ التأمّل التفلسفي حول الـ *philía*. لا يجدر بنا، بالنسبة إلى أرسطو، أن نستبعد لا الخطابة ولا الشعر؛ والشعراء مذكورون، وفي أكثر من مرة هم يُستدعون بوصفهم شهوداً، بل بوصفهم قضاة الحقيقة.

إذا كانت الـ *philía* تحيا، وإذا ما كانت تحيا في أقصى إمكانها، فهي **تحيا** إذن، هي تتنفّس، هي تصبح **نفسيّة** انطلاقا من هذا الملاذ للنجاة، للحياة بعد الحياة[39]. هذه الـ *philía*، هذه الـ *psukhḗ* بين

35- vivant
36- l'animé et l'inanimé
37- expiré
38- le pathos
39- survivre

الأصدقاء هي تنجو بنفسها، تحيا بعد الحياة.[40] هي لا يمكنها أن تحيا بعد نفسها[41] من حيث هي فعل، لكنّها تستطيع أن تحيا بعد موضوعها، هي تستطيع أن تحبّ ما لا نَفَسَ له. ولذلك هي تندفع، منذ عتبة هذا الفعل، نحو إمكانية أن يكون المحبوب ميّتاً. ثمّة هنا عدم تناظر أوّل وغير قابل للاختزال. لكنّ نفس عدم التناظر **يُتقاسَم**، بوجه ما، في ضرب من الطوبولوجيا[42] غير القابلة للتمثيل؛ هي تنثني، تنقلب وتتضاعف في مرة واحدة في فرضيّة الصداقة **المتقاسَمة**، تلك التي نقول عنها متبادلة بشكل سلمي. أنا لا أحيا بعد[43] الصديق، أنا لا أستطيع أو لا يجب أن أحيا بعده إلاّ بقدر ما يحمل بعدُ موتي ويرثه بوصفه الناجي الأخير. هو يحمل موتي الخاص، وبوجه ما، هو الوحيد الذي عليه أن يحمله، هذا الموت الخاص بي الذي هو بذلك قد صودِر[44] منّي سلفا.

(أنا أقول هذا في المذكّر [الصديق، هو، الخ.] ليس في معنى العنف النرجسي أو الأخوي لتشتّت ما بل من أجل الإعلان عن مسألة تنتظرنا، هي بالتحديد مسألة الأخ، في البنية المكرّسة[45] للصداقة؛ أي القائمة على مركزيّة الرجل[46]).

[31] ومهما يكن من أمر، فإنّ الـ *philía* إنّما تبدأ مع إمكانيّة أن نحيا بعد[47] [الصديق]. أن نبقى على قيد الحياة [بعده]، هذا اسم آخر لحدادٍ إمكانيتُه على الأقلّ لا تتأخّر أبدا؛ ذلك أنّ المرء لا يمكنه أن يبقى على قيد الحياة دون أن يلبس الحداد. وهذه طوطولوجيا[48] لا تُقهَر يعجز عنها كلّ حيّ، طوطولوجيا البقاء على قيد الحياة، الله نفسه لا قدرة له عليها.

هشّاً وسهلَ الاختراق إنّما يظهر، هنا أيضا، الفرقُ بين الفعلي والافتراضي، بين الحداد وإمكانية الحداد. إنّ الخشية[49] القلقة من الحداد (تلك التي من دونها لن تنبثق الصداقة، في طاقتها بالذات) هي تتغلغل بشكل **قبلي**، وتستبق، وتترصّد، وتحمل الصديق على الحداد[50] قبل الحداد، وهي تبكي قبل الأسف، وتبكي

40- sur-vit
41 E- se survivre
42- topologie
43- survis
44- exproprié
45- canonique
46- androcentré
47- survivre
48- Tautologie
49- appréhension
50- endeuille

الموت قبل الموت. إنّها الهواء الذي تتنفّسه الصداقة، النقطة القصوى من إمكانها. أن نحيا بعد [الصديق]، هو إذن في نفس الوقت ماهية الصداقة وأصلها وإمكانها وشرط إمكانها، إنّه فعل الحداد الخاص بالحبّ. إنّ زمن البقاء على قيد الحياة بعده هو الذي يمنح بذلك زمن الصداقة.

لكنّ هكذا زمن، إنّما يمنح نفسه بالانسحاب. **هو لا يأتي إلاّ من أجل أن يمّحي**، هو يسلّم نفسه ويمتنع في كرّتيْن وعلى صيغتيْن اثنتيْن، كما سنرى ذلك، في زمنيْن بقدر ما هما غير متلائمين هما غير منفصلين: الاستمرار المنتظم أو الثابت، من جهة، ومن جهة أخرى، البدء مرّة أخرى، والتجدّد، والتكرار غير المحدود للحظة الافتتاحية، دائما **من جديد**، إعادة الكرّة، الجديد في تكرّره. وهذا الزمن المضاد[51] بشكل مضاعف هو يقدّم حقيقة الصداقة في النور الغريب لضوء معاكس[52]: إنّ الحاضر لا يحضر إلاّ انطلاقا من منبع ضياء من جهة الظواهر، هو لا يأتي لا منه (الحاضر لم يعد هو المنبع) ولا من الموضع الذي انطلاقا منه هو ينبجس أو الذي إليه يظهر، موضع النظرة، أو الأنا أو ,,الذات"[53]، إن شئنا. إنّ الضوء المعاكس لهذا الزمن المضاد هو يفصل الحضور عن الحاضر، وهو في نفس الكرّة يسجّل اللاّزمانية[54] وعدم موافقة العصر[55] في واحدة على الأقلّ من الهيئات لما يسمّيه أرسطو بشكل منتظم الصداقة **الأولى** (*e protè philía*).

51- contretemps
52- contre-jour
53- sujet
54- intemporalité
55- intempestivité

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود

Mominoun Without Borders

للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

الرباط – أكدال. المملكة المغربية

ص ب : 10569

الهاتف : 54 99 77 537 212+

الفاكس : 27 88 77 537 212+

info@mominoun.com

www.mominoun.com

All rights reserved © 2019

جميع الحقوق محفوظة © 2019